



### ■ 3/3/1. النظرية المختارة:

الحق أننا إذا انتهينا إلى اضطلاع «علم الكلام» ببيان المعتقدات الدينية وإثباتها والدفاع عنها، فلا محيص من عدّ «الكلام الجديد» استمراراً للكلام التقليدي؛ وهو بذلك ليس مشابهاً لحال الفيزياء القديمة نسبةً إلى الحديثة، ليكون الجديد ناسخاً للقديم منها. أما لو كان المراد من «الكلام الجديد»: العقائد الدينية التي تناولتها الإلهيات المسيحية البروتستانتية الحديثة - حيث يُنفى الإله المحدّد والمعاد الديني، ويُعدّ الوحي فيها تجربةً دينيةً شخصيةً فاقدةً للعصمة، ويُصار إلى حقانية جميع الأديان على إخلاقها - ففي هذه الحالة، لا مانع من كون الكلام الجديد ناسخاً للقديم، ولكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف يمكن تسمية شيء كهذا بعلم الكلام، وعده علماً يستهدف الدفاع عن المعتقدات الدينية؟ فهل يجوز لنا مثلاً أن نعدّ السارق الذي يخل بالأمّن في المجتمع حارساً؟ أو أن نسّمى الجندي المتعاون مع العدوّ بالدفاع عن ثغور البلاد؟ أن أعضاء مرضاه بالطبيب؟ لا شك في أنّ أيّاً من هذه التسميات لا تجوز، وعليه: لا يمكن تسمية من يسعى إلى إنكار المعتقدات الدينية، ويدافع عن الشبهات الاعتقادية بدل الردّ عليها، ويلعب في أرض المسيحية البروتستانتية «متكلماً إسلامياً»، فغاية ما يمكن تسميته به: أنه «فيلسوف ديني». ومن العجّب العجّاب دخول البعض في المعتزك الكلامي بزي الفلاسفة، ثمّ وصف أنفسهم بالمتكلمين، ليغيّروا على الناس معتقداتهم، ويسعون في خرابها، وكذا عدّهم «الفلاسفة» كواحدة من المهامّ التي يضطلع بها هذا العلم؛ حتّى قال قائلهم:

«يضطلع علم الكلام - علاوةً على مهمّته في ردّ الشبهات، وبيان المعارف، وإثبات المباني والأسس الدينية - بمهمّة جديدة: تتمثّل في علم معرفة الدين: وعلم معرفة الدين نظرة خارجية إلى الدين، ولذا، سُمّي الكلام الجديد أحياناً بفلسفة الدين». وهذا المدّعي باطل؛ لأننا سنبيّن - لاحقاً - الفرق بين «فلسفة الدين» و«علم الكلام الإسلامي». أمّا أهمّ القضايا التي يتناولها علم الكلام الجديد فتتمحور حول: «تعريف الدين»، و«حاجة الإنسان إلى الدين»، و«منشأ الدين»، و«عقلانية القضايا الدينية»، و«أثر الدين ودوره»، و«جوهر الدين وصدقه»، و«لغة الدين»، و«التعددية الدينية»، و«العقل والدين»، و«العلم والدين»، و«الدين والأخلاق»، و«الدين والدين».

نستنتج ممّا تقدّم أنّ الكلام الجديد استمرار للكلام القديم، وعلينا أن نستعرضهما معاً في إطار واحد، ونظام موحد ومتناسق تحت مظلة علم الكلام التابع

المصدر: اسم المجلة: العقيدة، العدد: ١، السنة: السنة الأولى - شعبان ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

الدوام؛ فإننا بحاجة - أحياناً - إلى أسلحة جديدة. ومن هنا، يحتاج المتكلم إلى معرفة المسائل الحديثة، وبالتالي: يتّضح أنّ علم الكلام يتعدّى وينمو عبر المعارف الجديدة، مثلما ينمو بالمسائل الجديدة كذلك.

أمّا التفسير السائد والمتداول عن صفة «الجدّة» في «الكلام الجديد» فهو عدّها نعتاً للمسائل والقضايا الكلامية؛ بما يعني أنّ الكلام القديم تناول - في الأعم الأغلب - القضايا المتعلقة بالإلهيات والمعاد؛ بيد أنّه اليوم يلج مدارات بحثية أكثر اتساعاً، فيتناول أبحاثاً مرتبطة بعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، وعلم الأديان، وغير ذلك.

الباحث: د.الشيخ عبد الحسين خسرويه

⚠️ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة ، بل تعبر عن رأي أصحابها

## ماهية علم الكلام الإسلامي المعاصر

مقالة/ الجزء الأول

5. حماية التعاليم الدينية، ودرء الشبهات عنها.

خامساً: تُستخدم في علم الكلام شتّى المناهج الدينية وغير الدينية؛ مثل: المنهج العقليّ، والنقلّي، والتجريبيّ، والوجدانيّ، علاوةً على ما يُعتمد عليه في هذا العلم من مقاربات استدلالية، ووصفية، وتحليلية، وتفسيرية. وتتّخصّ أبرز قضايا علم الكلام ومباحثه في البحث عن: إثبات وجود الله تعالى، والصفات الإلهية، وإثبات التوحيد الإلهي، وقضايا تتعلق بالأفعال الإلهية؛ مثل: حدوث العالم أو قَدَمه، وحدث القرآن أو قَدَمه، والقضاء والقدر العلميين والعينيين لله سبحانه وتعالى، والجبر والاختيار، وبحث الآلام والشور، والهداية والإضلال، الأعواض والأجال والأرزاق، والعدل الإلهي، وضرورة إرسال الرسل، وضرورة الإمامة والخلافة، ومباحث المعاد والحياة الآخروية، وبعض القواعد الكلامية؛ مثل: قاعدة الحسن والقبح العقليّين، وقاعدة اللطف، وقاعدة الأصلح، وغيرها من الأبحاث الأخرى.

■ 3/1. ماهية علم الكلام الجديد: استخدم مصطلح «الكلام الجديد» في الأوساط العلمية الإسلامية لأوّل مرّة من قِبَل الكاتب الهندي سيّد أحمد خان؛ حيث قال في خطاب له عام ١٢٨٦هـ:

«إننا نحتاج اليوم إلى علم كلام جديد، نستعين به على إبطال التعاليم الجديدة، أو إثبات مطابقتها لمراتب الإيمان في الإسلام».

وبعد ذلك، جرى استخدام هذا المصطلح في كتابات العالم الهندي شبلي النعماني (١٣٣٢هـ)، وكان العلامة الشهيدي مرتضى المطهريّ (١٣٩٩هـ) أوّل من تطرّق في إيران إلى ماهية الكلام الجديد، وضرورة البحث فيه. والههمّ هنا أن نفصّل على المقصود من «الكلام الجديد»، ومفردة «التجديد» في هذا التعبير؛ فهل إن صفة «الجديد» هذه نعت للعلم، أم لمسائل العلم؟

يمكن أن نُحصى في المقام اثني عشر نظرية؛ لكننا سنكتفي في ما يلي باستعراض نظريتين أساسيتين منها:

### ■ 1/3/1. نظرية النسخ:

تبتني نظرية نسخ الكلام الجديد للكلام القديم على رؤية لا تؤمن بأيّ علاقة تجمع الكلام الجديد بالقديم غير «الاشتراك اللفظي» في العنوان؛ حيث يرى أصحاب هذه النظرية أنّ اختلافاً جوهريّاً يفصل بينهما، فما لبثّ الكلام الجديد بالظهور حتّى نُسخ الكلام القديم واضمحلّ. وما ذلك إلا بسبب ما طرأ في العصر الراهن على البيئة الفكرية العامّة من تقالّبات وتبدّلات، وانحيار الجرمية العلمية أو الفلسفية، حتّى بات «إثبات العقائد الحقّة» الذي كان هدفاً للكلام التقليديّ - يوماً ما - في عداد المستحيلات. وفي كلمة واحدة: يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ الساحة الفكرية المعاصرة تحكمها اليوم تساؤلات ومطارحات جديدة، وتسودها مناهج ومبادئ ومناهج متخلفة، تتطلّب أساليب جديدة في الحديث عن «الله»، و«النبوّة»،

بعد أن تبيّن تعريف «الدراسات الدينية»، والأفرع المعرفية التي تناولتها، تتوجّه الآن إلى تعريف علم الكلام الإسلامي باعتباره أحد فروع هذه الدراسات. لقد تطرّق عدد من العلماء المسلمين إلى تعريف هذا العلم بعبارات شتّى: نشير إلى بعض منها فيما يلي: قال الفارابيّ (٣٣٩هـ) في تعريف علم الكلام:

«صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرّح بها واضع الملة، وتزييف ما خالفها بالأقوال».

وقال صاحب «المواقف» القاضي عضدالدين الإيجي ( ٧٥٦هـ):

«علم يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية، بإيراد الحجج، ودفع الشبهة».

وأشار سعد الدين التفتازانيّ (٧٩٣هـ) في تعريفه لهذا العلم بالقول:

«الكلام هو: العلم بالعقائد الدينية عن الأدلّة اليقينية». وأورد عبدالرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ) قوله:

«هو علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية، بالأدلّة العقلية، والردّ على المتبذّعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة. وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد». وقال المحقّق اللاهيجي - بعد إشكاله على تعاريف غيره من المتكلمين -:

«الكلام صناعة يُقتدر بها على إثبات العقائد».

أمّا التعريف المختار - وهو التعريف الشامل الملاحظ للأهداف، ومهامّ المتكلمين ومنهج علم الكلام - فيمكن أن يُقال فيه:

هو: علم وفنّ ينتمي للدراسات الدينية، تستنبط وتنظّم وتبيّن به المعارف والمفاهيم العقائدية، من خلال الاستعانة بالنصوص الإسلامية، ويستدلّ به على إثبات تلك المعارف وتبريرها، باتّباع مختلف المناهج والمقاربات الدينية وغير الدينية، ويُرَدّ به على شُهات المخالفين ومناقشاتهم العقائدية.

وكما هو ملاحظ، فإنّ هذا التعريف لم يُشير إلى «موضوع العلم»؛ لأنّ علم الكلام لا موضوع له، وفي المقابل: ركّز التعريف على غاية علم الكلام ومنهجه.

ونستنتج ممّا تقدّم: أولاً: يُصنّف علم الكلام على أنّه علم وفنّ ينطوي على جانب نظريّ تعليمي، وآخر تطبيقيّ مهاريّ، يحافظ من خلاله المتكلمون على سلامة عقائد العوامّ والخواص من الناس، كما يسهر الحرس ورجال الشرطة على أمن المجتمع.

ثانياً: علم الكلام فرع علميّ ينضوي تحت مظلة الدراسات الدينية.

ثالثاً: طبيعة قضايا هذا العلم وأبحاثه تنتمي إلى المفاهيم والمعارف العقائدية.

رابعاً: تتحدّد أهداف علم الكلام ومهامّ المتكلمين فيما يلي:

- الاستنباط.
- التنظيم.
- بيان المعارف والمفاهيم العقائدية.
- إثبات القضايا العقائدية، وعقلانته.

يتراءى للبعض ممّن لا معرفة له بهذا العلم - عند أوّل ارتباط بعنوان «علم الكلام» - أنّ المقصود من «الكلام» هنا: «التحدّث»، و«الحوار»، وأنّ «علم الكلام» هو العلم الذي يتناول تعليم «إلقاء الكلمات»، وفنّ «الخطابة»! والحقيقة أنّ هذا العلم لا يمتّ إلى شيء من ذلك بأيّ صلة، رغم أنّه يستفيد من «الخطابة» لتحقيق أهدافه. من هنا، تتجلّى أهميّة الوقوف على تعريف دقيق لعلم الكلام، ومعرفة موضوعه، ومنهجه، وأهدافه، ومسائله، والذي هو بمثابة خارطة طريق تدلّنا على النهج الصحيح، وتقودنا نحو الهدف، وعليه: فإنّ البحث عن ماهية علم الكلام مقدّم على سائر الأبحاث الأخرى.

يمكن تصنيف «علم الكلام الإسلامي» ضمن مجموعة «الدراسات الدينية»، وهو حقل معرفيّ حظي باهتمام شديد في تاريخ معرفة الأديان. لقد اشتغل المتكلمون - على مدى العصور - في إثبات العقائد الدينية، والردّ على شبهات المخالفين والمعادنين، حتّى سُمّي هذا العلم بـ «الفقه الأكبر» نظراً لعلو مكانته، كما عمد الكثير من الفقهاء إلى بيان المعارف العقائدية، وتأليف الكتب للدفاع عنها، بالتزامن مع اشتغالهم ببحوثالفقهوالأصول.

### ■ 1/1. التعريف بالدراسات الدينية

#### ومجالاتها:

يشتمل حقل «الدراسات الدينية» على عدد من الفروع العلمية المتنوّعة التي تدرس بمناهج مختلفة أبعاداً ومجالات متعدّدة من الدين. وبملاحظة أنّ الأديان السماوية - وعلى رأسها الإسلام - تنطوي على جوانب عقائدية وفقهية وحقوقية وفردية واجتماعية وتربوية وسياسية وما إلى ذلك، يمكن تصنيف العلوم المنضوية تحت مسمّى الدراسات الدينية ضمن تصنيفات متنوّعة، فعلى أساس أصول التدين، ومضامينه، وأثره، وماهيته، والأبحاث المقارنة، تنشعب أبحاث الدراسات الدينية إلى خمسة فروع:

- الأسس الدينية في فلسفة الدين.
- المضامين الدينية في علم الكلاموعلمالفقهوعلومالأخلاق.
- أثر الدين في علم الاجتماع الديني، وعلم نفس الأديان، والأنثروبولوجيا الدينية (علم الإنسان)، والميثولوجيا الدينية (علم الأساطير).
- حقيقة الدين والتدين في فينوميونولوجيا الدين (علم الطواهر).
- الأبحاث المقارنة في علم الأديان المقارن، وتاريخ الأديان. هذا، وتبحث بعض أفرع الدراسات الدينية (مثل: فلسفة الدين، وعلم الكلام) صدق القضايا أو كذبها، فيما يكتفي البعض الآخر منها (مثل: تاريخ الأديان، وعلم الأديان المقارن، وفينوميونولوجيا الدين، وعلم الاجتماع الديني، وعلم نفس الأديان) على وصفها، دون الاهتمام بصدق القضايا الدينية أو كذبها.

### ■ 2/1. تعاريف علم الكلام الإسلامي:

علماء وأعلام

العلامة آية الله  
محقق هادي معرفة



محمدهادي معرفة (1348-١427هـ) من علماء الشيعة المعاصرين ومحققي العلوم القرآنية. وكان من تلامذة آية الله العظمى السيد أبوالقاسم الخوئي والسيد محسن الحكيم وآية الله العظمى السيد روح الله الخميني.

#### ولادته

ولد العلامة الشيخ محمدهادي معرفة عام ١348هـ (١930م) بمدينة كربلاء في عائلة علمانية، والده الشيخ علي بن محمد من الخطباء المعروفين في مدينة كربلاء المقدسة. تعتبر عائلة الشيخ معرفة من العوائل العلمية العريقة التي تمتد جذورها إلى أكثر من 300 سنة فهم يرجعون إلى الشيخ عبد العالي الميسي صاحب (الرسالة الميسية) الذي هاجر من قرية ميس في جبل عامل إلى مدينة أصفهان. و بعد ذلك هاجر إلى كربلاء.

#### دراسته

أرسله أبوه إلى المدرسة لتعلّم القراءة والكتابة في الخامسة من عمره. وبعده تعلم اللغة والمقدمات عند الأب والشيخ علي أكبر النائيني وتلمذ المنطق والأدب عند أساتيد أحر وكما درس بعضا من علوم الفلك والرياضيات. المرحلة الثانية لدراسته هي دراسة الفقه والأصول ومبادئ الفلسفة وبحوث الخارج التي تمت في حوزة كربلاء المقدسة حتى سنة 1339 ش (١380هـ) بينما كان يشغل بجانب التدريس بالتحقيق والتحقيق في الفروع الأدبية والعلمية وتأليف المقالات المتعددة وإقامة جلسات مع الشباب وتعليمهم المعارف والإجابة عن أسئلتهم. فهاجر الشيخ معرفة إلى النجف الأشرف مع العائلة في سنة 1340ش (١381هـ) لإكمال دراسته الفقهية عند أكبر علماء مثل السيد محسن الحكيم والسيد أبوالقاسم الخوئي والإمام الخميني. لم يغفل العلامة معرفة في هذه الفترة عن التحقيق وتأليف المقالات وبدأ بالدراسة والتحقيق حول العلوم القرآنية وآلف آثار قيمة. كان داعيه لاختيار المسائل القرآنية في دراساته هي الحقيقة المرّة التي كان يواجهها عند مراجعته وهي فقد المباحث الحية حول القرآن في المكاتب الشيعة في ذاك الزمان. ومن ثم اهتم العلامة معرفة بالمباحث القرآنية وآلف كثيرا من المقالات والكتب في هذا المجال من اهمها كتاب التمهيد في علوم القرآن الذي تم طبعه في 10 مجلدات وأصبح من مواد المنهج الدراسي في الجامعات فيما بعد الثورة الإسلامية في إيران. سافر العلامة إلى إيران في سنة 135١ش جزاء صدور الحكم بإخراج الإيرانيين من العراق من الحكومة البعثية العراقية مع عائلته وتوطن في قم واستمر في نفس النهج العلمي الراقي الذي كان عليه في كربلاء والنجف بل أعلى منه وآلف كثيرا من الآثار التي تقوم الشيعة في ساحة العلوم القرآنية.

#### ■ من أساتذته

السيد سعيد تنكابني، آيت الله العظمى السيد أبوالقاسم الخوئي، آية الله العظمى السيد محسن الحكيم، آية الله العظمى السيد روح الله الخميني، الشيخ حسين الحلي.

#### ■ منصبه

كان من أعضاء جامعة المدرسين للحوزة العلمية ومؤسس مجلة أجوبة المسائل الدينية في العراق ومبدع فرع العلوم القرآنية في الجامعة

#### ■ تدريسه

كان العلامة معرفة من مدرسي الحوزة في بحوث الخارج في الفقه والأصول والجامعة من الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية وغيرها في العلوم القرآنية

#### ■ من تلامذته

محمّد علي رضائي الإصفهاني، عبد الكريم بهجت بور، محمّد خطاط النائيني، مهدي رستم‌نجد، عباس البحراني، علي النصيري، إبراهيم الثقفي.

#### ■ من مؤلفاته

التمهيد في علوم القرآن، صيانة القرآن من التحريف، التفسير والمفسرون، شبهات وردود حول القرآن الكريم، التفسير الأثري الجامع، ولاية الفقيه: أبعادها وحدودها، تمهيد القواعد (تقارير درس آيت الله الخوئي).

#### ■ وفاته

انتقل العلامة محمد هادي معرفة في 29 ذي الحجة سنة ١427 هـ إلى جوار ربه في مدينة قم، وصلى عليه المرجع الديني آيت الله السيد موسى الشيرازي الزنجاني، ودفن بجوار مرقد فاطمة المعصومة.